

أثر التوجه العقدي على آراء ابن برجان وبيان موقفه من بعض صفات الله
من خلال تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات"

**Title of the Study: The Impact of Doctrinal Orientation on Ibn Barjan's
Views and His Stance on Allah's Attributes through his Exegesis
"Tanbih Al-Afham ila Tadabbur Al-Kitab wa Ta'aruf Ala Al-Ayat."**

[10.35781/1637-000-0108-003](https://doi.org/10.35781/1637-000-0108-003)

د. عبير بنت عبدالعزيز بن سليمان بن شبيب*

*أستاذ العقيدة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة الملك سعود

الملخص

الله الواردة في تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر
الكتاب والتعرف على الآيات".
ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة:
- بدأ ظهور التصوف في القرن الثاني، إلا أن اشتها
التكلم به كمنهج ظهر في القرن الثالث.
- لا غرابة في امتزاج ودخول التصوف على أهل
الكلام والعكس في المشرق الإسلامي؛ ذلك أن كتب
"الكلام والتصوف" خرجتا من الشرق. أما بدايات
دخول التصوف إلى بلاد المغرب فكان على يد محمد
بن عبد الله بن مسرة في القرن الرابع الهجري.
الكلمات المفتاحية: التصوف - علم الكلام -
صفات الله - التفسير الإشاري - التأويل.

يهدف البحث إلى: التعريف بابن برجان
وتفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف
على الآيات"، وأثر التوجه العقدي على آراء ابن
برجان في تفسيره لكلام الله، والوقوف على أقوال
ابن برجان في مسائل الصفات الواردة في تفسيره
"تنبيه الأفهام".
منهج البحث: المنهج الاستقرائي والمنهج
الاستنتاجي.

تناول هذا البحث دراسة أثر التوجه العقدي
على ابن برجان والذي يعد من أهم رجال التصوف
في عصره، وأثر ذلك التوجه على أقواله في صفات

Abstract

The study aims to introduce Ibn Barjan and his exegesis "Tanbih Al-Afham ila Tadabbur Al-Kitab wa Ta'aruf Ala Al-Ayat", explore the impact of his doctrinal orientation on his interpretations of Allah's words, and examine his views on the attributes of Allah as presented in his exegesis.

Methodology: The research employs the inductive and deductive methods.

This study investigates the impact of Ibn Barjan's doctrinal orientation, highlighting his significance as one of the prominent figures of Sufism in his era, and how this orientation influenced

his views on Allah's attributes as discussed in his exegesis.

Key Findings:

- Sufism began to emerge in the second century AH, but its establishment as a methodology became prominent in the third century AH.
- The blending of Sufism and Kalam (theology) was not unusual in the

Islamic East, as both disciplines originated there. The introduction of Sufism to the Maghreb occurred at the hands of Muhammad ibn Abdullah ibn Masarra in the fourth century AH.

Keywords: Sufism, Kalam (Islamic theology), Allah's attributes, allegorical exegesis, interpretation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

اعتنى المسلمون قديماً وحديثاً بتفسير كتاب الله، وكانت لهم مسالك ومناهج في ذلك؛ فمنهم من فسره بالأثر، ومنهم من فسره بالرأي، ومنهم من اتبع طريق السلف، ومنهم من تأوله على غير تأويله. وكان للتوجه العقدي أكبر الأثر في أقوال هؤلاء المفسرين.

ومن هؤلاء المفسرين عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، المعروف بـ "ابن برجان"، فقد صنّف تفسيراً عرف بـ "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات"، وهو تفسير له أثر ورواج في بلاد المغرب الإسلامي.

وقد حرص أهل السنة في بيان ما يرد في هذه التفاسير فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد من الحق والباطل؛ لتعلقها بكتاب الله والذي هو المصدر الأول للتلقي والاستدلال على مسائل الاعتقاد.

ومن هنا رغبت الباحثة بالمساهمة في هذا الباب، وذلك بدراسة أثر التوجه العقدي على أقوال ابن برجان وبينان موقفه من صفات الله الواردة في تفسيره.

مشكلة البحث:

لما كان لابن برجان مكانة علمية، وكان تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات" من أبرز كتب التفسير رواجاً وتأثيراً -خاصة في بلاد المغرب الإسلامي- مع ما فيه من الغموض، وقد كان للتوجه العقدي أثر على أقواله في صفات الله؛ فكانت الحاجة إلى دراسة ذلك لبيان مدى موافقته أو مخالفته لمعتقد السلف.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- 1 - تبرز أهمية هذا البحث في أنه يكشف عن المخالفات العقدية في باب الصفات الواردة في أحد كتب التفسير، والتي كان لمؤلفها تأثير على عقائد الناس.
- 2 - يعتبر تفسير ابن برجان من أهم التفاسير في المغرب الإسلامي، ولمؤلفه مكانة في الساحة الدينية والسياسية في زمانه.
- 3 - الحاجة إلى بيان أثر ومدى التوجه العقدي على أقوال المفسر.

أهداف البحث:

- 1 - التعريف بابن برجان وتفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات"
- 2- بيان أثر التوجه العقدي على آراء ابن برجان في تفسيره لكلام الله.
- 3 - الوقوف على أقوال ابن برجان في مسائل الصفات الواردة في تفسيره "تنبيه الأفهام".

أسئلة البحث:

- 1 - من هو ابن برجان؟ وما هي محتويات تفسيره خاصة ما يتعلق بصفات الله؟
- 2 - ما أثر التوجه العقدي على آراء ابن برجان في تفسيره لكلام الله؟
- 3 - ما أقوال ابن برجان في مسائل الصفات الواردة في تفسيره "تنبيه الأفهام"؟

منهج البحث: المنهج الاستقرائي و المنهج الاستنتاجي.

إجراءات البحث:

- 1 - عزو الآيات القرآنية مع كتابة اسم السورة ورقم الآية في المتن، والالتزام بالرسم العثماني.
- 2 - تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بتخريجه منهما أو من أحدهما، بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما، فإني أجتهد في تخريجه من مظانه المعتمدة.
- 3 - عند الترجمة للأعلام أكتفي بذكر تاريخ وفاتهم عند أول ذكر لهم.

حدود البحث:

سأتناول في هذا البحث أثر التوجه العقدي على أقوال ابن برجان ودراسة موقفه في صفات الله الواردة في تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات".

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الجهات العلمية المعنية بالدراسات الجامعية، ومركز البحث العلمي، وعند البحث في المواقع الإلكترونية المتخصصة في رصد الرسائل العلمية المسجلة، لم أقف على بحث بهذا الاسم، أو بالمعنى الذي سيكون عليه هذا البحث، ومع ذلك وجدت دراسات قريبة، ومن تلك الدراسات:

1 - مباحث السمعيات في تفسير ابن برجان، للباحثة: صفاء ناصر حسين. وهي رسالة علمية تقدمت بها الباحثة لكلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد. تناولت موضوع مباحث السمعيات، وعرضت تلك المسائل من جوانبها اللغوية والاصطلاحية، وبينت رأي ابن برجان فيها والعلماء وبينت اختلافهم وأدلتهم، ثم ذكرت القول الراجح فيها، وقد اقتصرت الباحثة على موقف ابن برجان من السمعيات.

2 - ابن برجان الأندلسي، وجهوده في التفسير الصوفي وعلم الكلام، للباحث الدكتور: حسان القاري. بحث علمي منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد الأول، عام 2007م. اقتصر الباحث فيه على جهود ابن برجان في التفسير الصوفي وعلم الكلام من خلال كتابي "الإرشاد في تفسير القرآن" و "شرح الأسماء الحسنى" ولم يتطرق لكتاب "تنبيه الأفهام" الذي هو موضوع هذا البحث، كما أن منهج البحث يختلف فهو في إبراز جهود ابن برجان ودوره في التفسير الصوفي وعلم الكلام بينما بحثي في دراسة أقواله في الصفات.

3 - اتجاهات التفسير بالغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، دراسة علمية للدكتور عبد الله عويبة. رصد فيها جهود العلماء المغاربة في تفسير القرآن الكريم خلال القرن الرابع عشر الهجري، وهي دراسة محددة بفترة زمنية ومكان معين، بينما هذا البحث في أحد أعلام التصوف في القرن السادس الهجري.

4 - التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، للباحث: محمد بن رزق الكعبي السلمي. وهي دراسة مقتصرة على كتب التفسير والمفسرين في غرب إفريقيا، تطرق الباحث فيها لثلاثة من أعلام الصوفية، ومنهم: ابن برجان، لكنه اقتصر بالتعريف بالمؤلف، ومنهجه في كتابه، ولم تكن دراسة لشيء من أقواله الاعتقادية.

5 - الاتجاهات العقدية عند الصوفية في تفاسيرهم، رسالة دكتوراه في قسم الدراسات الإسلامية جامعة الملك سعود، للباحثة: هدى بنت سعيد الكثيري. تناولت الباحثة اتجاهات الصوفية من خلال كتبهم في

التفسير، وتطرقت لتفسير ابن برجان ضمن الاتجاه الكلامي بشكل عام. وقد أوصت الباحثة بأهمية دراسات مستقلة لأعلام كل اتجاه.

وهذه البحوث والدراسات وإن كانت تشترك في جانب معين، إلا أن هذا البحث يختلف في كونه دراسة محددة لأحد أعلام المفسرين الصوفية في بلاد المغرب، ومعرفة الأثر العقدي على آرائه وموقفه من صفات الله من خلال أحد كتبه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:
 المقدمة، وفيها: مشكلة البحث، وأهميته وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، وإجراءاته، وحدود، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
 التمهيد: التعريف بـ "ابن برجان" وتفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات"، وفيه:
 أولاً: التعريف بابن برجان.

ثانياً: التعريف بكتاب "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات".

المبحث الأول: دخول التصوف إلى بلاد المغرب، وأثره على ابن برجان، وفيه:

المطلب الأول: دخول التصوف إلى بلاد المغرب.

المطلب الثاني: أثر التصوف على آراء ابن برجان.

المبحث الثاني: دخول علم الكلام إلى بلاد المغرب وأثر علم الكلام على ابن برجان في صفات الله، وفيه:

المطلب الأول: دخول علم الكلام إلى بلاد المغرب.

المطلب الثاني: أثر علم الكلام على آراء ابن برجان في صفات الله.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بـ "ابن برجان" وتفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات":
 أولاً: **التعريف بابن برجان**(1): تضاربت آراء المترجمين له في اسمه، فمنهم من سماه عبد الرحمن، ومنهم من سماه عبد السلام، وجعل بعضهم الاسمين لشخصين منفردين، واعتبره البعض الآخر اسماً لشخص واحد، وأغلب المترجمين له يطلقون عليه أبا الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن. ويجعلون وفاته سنة ستة وثلاثين وخمسمائة، وطائفة منهم يطلقون عليه عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن ويجعلون وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة.

ويكاد جمهور المترجمين يتفقون في أن سنة وفاته ستة وثلاثين وخمسمائة، إلا أنهم يختلفون في الاسم، ويظهر أنهما شخصان خلط بينهما بعض المترجمين، ويزكي هذا الاحتمال السيوطي فقد ترجم للمفسر في الطبقات، وترجم للغوي في البغية وجعلهما مختلفين في الاسم وسنة الوفاة، بينما طابق بينهما في اللقب فقط (ابن برجان) معتبراً أن هذا اللقب مخفف من أبي الرجال، وقد ضبطه ابن خلكان قبله فقال: برجان بفتح الياء الموحدة وتشديد الراء بعدها جيم وبعد الألف نون. وذهب الباحثون المعاصرون مع الجمهور إلى أن ابن برجان الذي شغل المغرب والأندلس في الثلث الأول من القرن السادس، هو: عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، المغربي الإفريقي، ثم الإشبيلي الأندلسي. ويكنى بأبي الحكم، وقيل: بأبي الرجال، واشتهر بابن برجان. ولُقّبَ بغزالي الأندلس. متكلماً لغوياً، وله معرفة بعلم الهندسة والحساب.

ويعد ابن برجان من أهم رجال التصوف في عصره، واشتهر بالإمعان في علم الحرف حتى استعمله في تفسير القرآن. وشي به عند ابن تاشفين ت537هـ فاعتقله وأحضره إلى مراکش، خشية أن يثور عليه. وعقدوا له مجلس مناظرة وأوردوا عليه المسائل التي أنكروها فأجاب، وخرّجها مخارج محتملة، فلم يرضوا منه بذلك؛ فحكموا عليه عند السلطان بأنه مبتدع، ولما مات رموه على مزبلة بغير صلاة ولا دفن، بحسب ما قرره الفقهاء. وذكر بعض أهل التراجم أنه لما مات ابن تاشفين بعده بأشهر، أرسل بعض أتباعه عبداً أسوداً فنادى جهاراً، احضروا جنازة فلان، فغسلوه وصلوا عليه ودفنوه(2).

(1) ينظر ترجمته: شذرات الذهب، ابن العماد (7/219). سير أعلام النبلاء، الذهبي (20/72). طبقات المفسرين، السيوطي ص68.
 العبر في خبر من غير، الذهبي (5/109). كشف الظنون، حاجي خليفة (2/1034). فوات=الوفيات، محمد شاکر (2/323).
 الوافي بالوفيات، الصفدي (18/260). وفیات الاعیان، ابن خلكان (4/236).
 (2) انظر: لسان الميزان، ابن حجر (5/174).

وقد علق الدكتور عبد الله السهلي على هذه القصة بأنها مروية بطريق الصوفية، وفيها مدح واعتذار عنه، وذم للفقهاء الذين أنكروا عليه. وقد يكون من رواها شيوخ صوفية الأندلس؛ لانشغال السلطان بقتال أتباع ابن تومرت(1).

قال عنه الذهبي ت748هـ: "الشيخ، الإمام، العارف، القدوة... شيخ الصوفية. سمع صحيح البخاري من: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن منظور ت469هـ صاحب أبي ذر الهروي ت434هـ، وحدث به"(2).

جمع ابن برجان بين علم الكلام والتصوف، كما وصفه ابن الأبار بقوله: "وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّحْقِيقِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ، مَعَ الرَّهْدِ وَالْبَاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، وَكَه تَوَالِيْفٍ مُفِيدَةٍ مِنْهَا: كِتَابٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لَمْ يَكْمَلْهُ وَكِتَابٌ شَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى"(3).

وفي شجرة النور، أنه: "كان من أجل رجال المغرب إماماً في علم الكلام ولغة العرب مشاركاً في الهندسة والحساب، أخذ من كل فن بأوفى حظ، مؤثراً طريقة التصوف وعلم الباطن، متصرفاً في ذلك، عارفاً بمذاهب الناس، متفنناً بالكتاب والسنة. جرى في تفسيره على طريقة لم يسبق إليها، فيها عجائب وكوائن في الغيوب، وأكثر كلامه فيه على طريقة أرباب الأحوال والمقامات"(4).

ومن مصنفاته(5):

1/ "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات". وقد نقل ابن خلكان أنه لم يزل في طلب هذا التفسير حتى وجده بعد أن ذكروا تنبؤ ابن برجان بفتح بيت المقدس سنة 598هـ، فقال: "ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به"(6).

(1) انظر: السالمية، السهلي هامش 3، ص253.

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي (74/20).

(3) التكملة لكتاب الصلاة، ابن الأبار (21/3).

(4) شجرة النور الزكية، مخلوف (194/1).

(5) انظر: هدية العارفين (132/2). فوات الوفيات، محمد شاکر (323/2).

(6) وفيات الأعيان، ابن خلكان (4/230) ونقل المحقق في الهامش عن غيره بأن "الشيخ تقي الدين محمد بن زين الدين الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية رحمه الله تعالى أنه رأى هذا الفصل المعين في نسختين على = صورة ما ذكرناه والله أعلم". وهذا يدل على أن الاهتمام بهذا التفسير لم يكن مقصوراً على المغرب الإسلامي، بل دخل إلى المشرق في وقت مبكر وتعددت نسخه هناك.

2/ له تفسير آخر سماه "الإرشاد" وصف بأنه تفسير كبير في مجلدات.

3/ شرح الأسماء الحسنی، عرض فيه أكثر من 130 اسماً لله، تناول الاسم بالدراسة من جهة أصل اللفظ ومدلولاته. واستخدامه في القرآن والسنة. وكيفية التعبد لله بهذا الاسم وكيفية اكتسابه.

وقد أشار ابن برجان إلى هذا الكتاب في عدة مواضع في تفسيره "تنبيه الأفهام": مما يدل على أنه انتهى من كتابته قبله.

وفاته⁽¹⁾: مات بمراكش سنة 536هـ.

ثانياً: التعريف بكتاب "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات":

يلاحظ على تفسير ابن برجان الآتي⁽²⁾:

1/ أنه من أكثر كتب التفسير غموضاً.

2/ استخدامه التفسير الإشاري الصوفي.

3/ جمع فيه بين التفسير بالأثر والرأي؛ حيث إنه يجمع في الموضوع الواحد عدة آيات استشهداً على معنى الآية، وأحياناً يستشهد بالأحاديث، إلا أنه لا يهتم بدرجة صحتها وأسانيدها، وقد يوردها بالمعنى.

4/ يذكر الآيات القرآنية بكثرة في نسق واحد وفي الغالب يكون لا تعلق لها بالآية المراد تفسيرها أو تعلقها لطيف جداً وربما ذكر تفسيراً مقبولاً لآية بآية كما هو منهج المفسرين.

5/ يورد أحياناً أسباب النزول للآية.

6/ يأتي بعبارات مضطربة وجملاً منقطعة، ويعلل بعضهم بأن هذا إضمار لمعاني في نفس المؤلف يفهمها من عرف أسلوبه وذائقته⁽³⁾.

(1) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (74/20)، ولسان الميزان، ابن حجر (13/4)، وطبقات المفسرين، السيوطي ص68.

(2) انظر: الاتجاهات العقدية لدى مفسري الصوفية، رسالة دكتوراه، ومناهج المفسرين منيع عبد الحليم (2/4).

(3) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (60/1).

7/ له استنباطات يوافق فيها عقيدة السلف في بعض المسائل العقدية. فمثلاً عند قوله تعالى: «ولا يزالون مختلفين إلا ما رحم ربك ولذلك خلقهم» قال: «مختلفين أي في التوحيد والنبوة فمنهم من كذب بها ومنهم من صدق بعضها إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم أي للرحمة والتوحيد والتصديق».

8/ يستخدم عبارات مثل: "فافهم ذلك"، أو "مفهوم الكلام": للدلالة على رأيه.

المبحث الأول: دخول التصوف إلى بلاد المغرب، وأثره على ابن برجان:

المطلب الأول: دخول التصوف إلى بلاد المغرب:

بدأ ظهور التصوف في القرن الثاني، إلا أن اشتهاه التكلم به كمنهج ظهر في القرن الثالث⁽¹⁾، ولا غرابة في امتزاج ودخول التصوف على أهل الكلام والعكس في المشرق الإسلامي؛ ذلك أن كتب "الكلام والتصوف" خرجتا في الأصل من البصرة. فمتكلمة المعتزلة أئمتهم بصريون: مثل أبي الهذيل العلاف (ت235هـ) وأبي عليّ الجبائي (ت303هـ)، وابنه أبي هاشم (ت321هـ) وكذلك أئمة الكلابية والأشعرية والمتصوفة ممن خلط تصوفه بعلم الكلام كالحارث المحاسبي (ت243هـ)، وغيره⁽²⁾.

وكان الحارث المحاسبي أول من أدخل هذه المناهج الكلامية في اعتقادات الصوفية، وكان له أتباع، من أبرزهم: أبو طالب المكي (ت386هـ)، وتعتبر كتبه من أهم المصادر التي يستند عليها المتصوفة، وانتقل الاهتمام والتأثر بها إلى بلاد المغرب، واعتمد عليها ابن برجان وغيره من متكلمي الصوفية⁽³⁾.

وكانت بدايات دخول التصوف إلى بلاد المغرب على يد محمد بن عبد الله بن مسرة ت319هـ، فقد حج وطوّف ببلدان المغرب ومصر والشام والحجاز إبان فتنة الحلاج وصلبه سنة 309 ببغداد، واتهم بالزندقة فخرج فاراً، وتردد في المشرق مدةً، وجالس أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة. ثم رجع إلى الأندلس، فأظهر نسكاً وورعاً، واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه. ثم ظهر الناس على سوء معتقده وقبح مذهبه فانقبض عنه أولوا الفهم. وكان يقول بالقدر، ويحرف التأويل في كثير من القرآن⁽⁴⁾.

(1) انظر: تلبس إبليس، ابن الجوزي (ص148، 149)، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية (5/11)، 6.

(2) المصدر السابق، (360/10).

(3) انظر: فهم القرآن، المحاسبي ص78-88. السالمية، السهلي ص78، 184، 787.

(4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (590/23).

ولا يخفى ما قام به فقهاء وعلماء المغرب من مقاومة للتصوف المنحرف الذي اختلط بأراء الفلاسفة والشيعة، ومما يُذكر ما اتفق عليه فقهاء بلد ابن العريف على إنكار مذهبه، فسعوا به إلى السلطان وحذروه من جانبه، وكذا أبو الحكم بن برجان؛ فسير بهما إلى مراکش⁽¹⁾.

ومن أبرز ما حصل في أيام دولة المرابطين: ما أجمع عليه الفقهاء من إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي بساحة مدينة قرطبة عام 503هـ. وقد أنكر علماء المغرب لما وصلتهم تلك الكتب وخاصة كتاب الإحياء، وألفوا في الإنكار عليها والتشنيع مما فيها، ومن هؤلاء العلماء أبو بكر الطرطوشي الأندلسي (ت520هـ) الذي كتب "الأسرار والعبر في الرد على الإحياء".

وانتقدته تلميذه أبو بكر بن العربي المالكي ت543هـ كثيرا، ومما قال: "كان أبو حامد تاجا في هامة الليالي وعقدا في لبة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج على الحقيقة وحاد في أكثر أحواله عن الطريقة، وجاء بألفاظ لا تطاق ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق، فواحسرتي عليه، أي شخص أفسد من ذاته وأي علم خلط منه مفرداته"⁽²⁾.

كما انتصر لكتب الغزالي أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي (ت513هـ) وكتب لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بذلك، وأفتى بأن الأيمان التي فرضت في عملية التفتيش أيمان لا تلزم وقال: وددت أنني لم أنظر في عمري سوى كتاب الإحياء⁽³⁾.

والخلاصة مما سبق: فإن الناظر لتاريخ المغرب يلاحظ أن هناك عدة عوامل أدت إلى دخول تلك المذاهب للمغرب، ومنها:

الجهل: فقد غلب على الصوفية الاجتهاد في العبادة مع قلة العلم الشرعي؛ كما ذكر الذهبي أن محمد بن محمد القاشاني من أهل القرن الخامس؛ قال: "كنت إذا مضيت إلى أبي القاسم هبة الله بالرباط، أخرجني إلى الصحراء، وقال: اقرأ هنا؛ فالصوفية يتبرمون ممن يشتغل بالعلم والحديث، يقولون: يشوشون علينا أوقاتنا"⁽⁴⁾.

(1) انظر: المعجم في أصحاب القاضي الصديقي، ابن الأبار (ص27، 28).

(2) العواصم من القواصم، ابن العربي ص78.

(3) انظر: الاستقصاء، السلاوي (2/ 74).

(4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (167/33). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، اليحصبي (4/ 195-198) (17/8)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، اليعمرى (2/ 375).

العامل السياسي: فقد تبنى بعض الحكام والخلفاء التصوف؛ فكان للدولة الموحدية (515-674هـ) دور في نشر بدعة التصوف⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أثر التصوف على آراء ابن برجان:

لقد عاش ابن برجان في أيام دولة المرابطين وهي الدولة التي بوأت الفقهاء مكانة عليا وأحرقت كتب أبي حامد الغزالي ت505هـ. ورغم هذا إلا أن فكر الغزالي رجع في المغرب، وأخذ المغاربة يتعلقون بالغزالي وكتبه شيئا فشيئا، إلى أن أصبح إمامهم في التصوف بلا منازع، وصار له أنصاراً يدافعون عنه، وينهجون سبيله، بل وجد من الفقهاء من برأ الغزالي مما رمي به. قال ابن حمدان ت546هـ: "إن بعض من كان ينتحل رسم الفقه، ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية، والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره، ومضاليل أساطيره المباينة للدين؟ وزعم أن هذا من علم المعاملة، المفضي إلى علم المكاشفة، الواقع بهم على سر الربوبية..."⁽²⁾.

ويظهر أثر التصوف على آراء ابن برجان من عدة جوانب:

أولاً: مصادر المعرفة: يعتمد المنهج الصوفي في مصادره للوصول إلى المعرفة على الإلهام والذوق والكشف وما يناله منها بسبب الممارسات والمجاهدات وبذل الجهد في رياضة النفس حتى يصل الإنسان إلى المعارف والحقائق، ويقف بذهنه على بواطن الألفاظ متجاوزاً حدود ظواهرها المألوفة للعامة.

ومن الأمثلة على ذلك: جعل ابن برجان معاني النظر في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْزَاقِ يُنظَرُونَ﴾ [المطففين:23] بأن: "النظر فيما ها هنا ينقسم إلى ستة معالم:

أحدها: نظر عموم المؤمنين ممن لا يكاد ينسب إلى نظر، لكنه لما حصل عنه الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد سمي بفضل الله: نظر. أو هو حال عامة المؤمنين من النساء والرجال الذين شهدوا شهادة الحق، وعملوا عليه، ثم نظر أهل الكلام الذين أحكموا الأجدال ونصب الدلائل وتبيين البراهين، وهؤلاء أئمة المسلمين الذابون عن حملة الحق.

ثم نظر أهل الورع والتقوى وإعمال القلوب ومحاسبة النفوس ومعرفة التوكل ونحو هذا كعلم الخوف وعلم الرجاء واليقين، وهذا يتقوى على كل نظر وبه يتوصل إلى كل مطلوب.

(1) تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائري (2/247، 339).

(2) سير أعلام النبلاء الذهبي (19/332).

- ثم لأئمة المتقين نظر في آيات الدالة عليه المعرفة به وبشواهده وبياناته على صدقه وصدق رسله وكتبه التي تريهم الآخرة بالعلم واليقين عيانا ، فيشهدون بها ما غاب من وعد الآخرة ووعيدها وهو معرفة الحق المخلوق به السموات والأرض.

- ثم نظر لأهل العلية منهم في معرفة ما تقدم ذكره باستقراء الأسماء الحسنى والصفات العلا مسالكها في العالم ومقتضيتها من الحق المخلوق به السموات والأرض ونسبته الى الأسماء والصفات ثم يعرف ذلك في الدار الآخرة وإضافته الى الحق المبين فيما هنالك. وفي هذا النظر وصلوا إلى التوحيد العلي وهو عين اليقين وهو النعيم في الدنيا وهي المعاينة التي تتسبب إلى المشاهدة وعندما تصغر العطايا لمشاهدة قدرها وتستغرق كل سبب حتى يغيب شاهد روى العلم فيها والعلوم كلها مجموعة فيها؛ لأنها ينبوع العلم منها بدأ وإليها يعود، فافهم.

- ثم السابع هو موضع الحجر المحجور والسد المسدود، ينقطع سر العقول وتحتبس عنده النفوس وتهدأ حركات الوهم وتتسد أبواب الفطن، وإذا بلغت الألباب إلى ما هنالك سجدت ورجعة حسيرة.

- إلى أن قال- فإذا دخلوا الجنة وهذبوا وطيبوا شاهدوا الحق المبين عيانا وكلمهم كفاحا فهم على آرائكهم ينظرون إليه لا يبدو لهم أبدا بمرأى واحد مرتين، ولا يكلمهم في معنى واحد بكلمتين، بل لكل كلام إفهام، ولكل إفهام معنى ثم لا أقول ولا تنقل يتجلى إذا شاء في ضيائه وإذا شاء في نوره... ثم إذا استزادهم سبحانه وتعالى سقاهاهم شرابا طهورا يطهرهم به من ملامسة الأغيار الموجودات في الجنة... (1).

ومع أن ابن برجان يستند على الكتاب والسنة كمصدر في تلقي مسائل الاعتقاد، وغالباً ما يُستدل بها في السمعيات، ويذكر أن الكتاب والسنة من أصول دلائل الشرع، قال: "قالوا: دلائل الشرع موجودة فيه على ثلاثة أوجه: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال. فالأصل: هو الكتاب والسنة والإجماع" (2).

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (465/5-466).

(2) المصدر السابق، (1/154).

لكن بالنظر إلى تفسيره (تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات) نجد أنه يصرح بأن في مقدمة مصادره الخاصة في التلقي: الكشف؛ فيقرر ابن برجان بأنه يستمد من خلال الكشف العلم اللدني، ويتدرج عن طريقه حتى يصل إلى درجة الاستغناء عن الكتاب والسنة والفناء في ذات الله -تعالى؛ فيكشف الله ﷻ لبصائر بعض عباده المؤمنين؛ فيرون بها ما غاب عن أبصارهم، ويسمعون بها ما غاب عن آذانهم مما ليس بصوت ولا حرف⁽¹⁾.

ومن احتجاجة بالكشف قوله: "ثم قد يكشف الله ﷻ لبصائر بعض عباده المؤمنين؛ فيرون بها ما غاب عن أبصار رؤوسهم، وذلك أنهم لما علموا أن سبب الحجب لهم عن ربهم ﷻ امتزاج قلوبهم فيما لا يعني، وصرفها عن الاشتغال بمعرفته، والازدياد من العلم واليقين به بما لا ينبغي، فتحفظوا في طلبهم، واجتهدوا وجدوا في طلب مرضاة مطلوبهم بكل قلوبهم وجميع جوارحهم وعزم من هممهم، فرأوا بنور الإيمان وحقيقة الإيقان ما ليس بشخص ولا جوهر ولا عرض، ولا هو من قبيل ذلك معروفاً بفطرهم، ليس كالذي عهدوا معلوماً بحقائق ذواتهم، ليس كالمعالم سواء من الظواهر والبواطن، يرون ذلك ببصائرهم ولا يصوره عقل ولا يكيفه لهم وهم، ثم قد يرون أيضاً مما ليس كالأجسام المعهودة، ولا كالمرائي الظاهرة المعتادة، فما كان من هذا رأته بصائرهم مرائي روحانية فيصورها مصور العقل في باطن الذكر بإذن بارئه... وكذلك يزيل الوقر عن إسماع قلوبهم، فيسمعون بها ما غاب عن آذان رؤوسهم ما ليس بصوت ولا حرف"⁽²⁾.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن للكشف طرق وأشكال كثيرة عندهم تشمل جملة من الأمور الشرعية والكونية والتجليات العرفانية، منها: الإلهام، وهو في الاصطلاح الصوفي: الاطلاع على الأسرار الغيبية بعين البصيرة في عالم المثال بلا شك وشبهة، اطلاقاً غيبياً، وصورته في البدايات: صدق الخواطر، وفي النهايات: التكلم بكلام الحق الأزلي بلا واسطة⁽³⁾.

وبين ابن برجان المراد به فقال: "وأما الإلهام فإنه أمر ينزل إلى لوح القلب، وهو إنباء بما في الباطن خزائنه، وفي أصل الجبله آثاره"⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق، (56-55/1).

(2) المصدر السابق، (56-55/1).

(3) انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، الكاشاني (298/2-299).

(4) تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (56/1).

12/ استخدامه للتفسير الإشاري الصوفي: وهو مما يتسم به المنهج الصوفي من منطلق القول بأن للقرآن ظاهراً وباطناً، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة والآداب، وعلم الحقيقة علم الهداية والأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله (1).

ومن القول بالظاهر والباطن تحريف معاني نصوص الكتاب وصرافها عن ظاهرها، وتفسيرها بما يخالف دلالتها اللغوية؛ تحت مسمى "التفسير الإشاري"، قال ابن برجان: "وقال بعض أهل العلم: للقرآن ظهر وبطن، وحد ومطلع، فظهره جليّه وبطنه خفيه، ومطلعه ما خزل منه اكتفاءً بما أوجز فيه منه، فمذكوره يدل على معنى، والمخزول منه يشير إلى معنى، وهو كثير في القرآن يجده من عني به" (2).

ومن نماذج ذلك ما بينه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبُاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17] حيث قال: "معناه: إن السيل يعلوه الزبد، كذلك القرآن فيه آيات متشابهات ظاهرها خلاف باطنها، فكما أن الزبد على السيل ظاهره خلاف باطنه كذلك لظاهر آيات القرآن خلاف باطنها، وهن المتشابهات، ومثل المتشابه مثل السيل يعلوه الزبد، وكما أن الماء كان تحت الزبد وإن علاه الزبد ظاهراً كذلك باطن القرآن والمتشابه واقع وإن كان ظاهره خلافه كالزبد، وكما أن من اكتفى بالزبد الظاهر على الماء لا يصل إليه من نفع الماء شيء، ويبقى العطش فيه فيهلك، ولذلك من اتبع الأكثر من ظاهر القرآن لا يصل إليه نفعه ومواعظه، وتبقى الضلالة فيه فيهلك زرعاً، وإنما ضرب الله المثل على هذا الاعتبار؛ ليعلم العباد أن القرآن يدل على الامتحان والاعتبار بباطنه" (3).

بل قد يحتمل التفسير الإشاري معان فلسفية باطلة؛ وهذه نتيجة حتمية للأثر الصوفي المغالي لارتباطه وامتزاجه بالفلسفة، ومثال ذلك قوله في تفسير أول سورة الدخان: ﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: 1-6] قال: "وأما في هذه فهو قسم بالكتاب المبين، وتختلف المعاني باختلاف المراد المعبر عنه بها... -إلى أن قال- ثم أقسم بالكتاب المبين الذي هو لوح الوجود من سماوات وأرضين وجبال ونبات وحيوان ونجوم وأفلاك. مثال لذلك: اللوح المحفوظ ظاهر لغيب علمه في خلقه، وهو باطن

(1) انظر: المعجم الصوفي، محمود عبد الرزاق (4/ 27)

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (3/ 210).

(3) المصدر السابق، (3/ 192).

لوح الوجود، وكان القسم واقعا على أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وفي جعله قرآنا عربيا، ومظهرها لما في أم الكتاب منه باطنا لظاهر الوجود، فربما كان تقدير ذلك هذا وحي الحي القيوم بالروح من أمره نزل به الروح الأمين وحق الكتاب المبين، فإنه يقسم من مفعولاته بما شاء" (1).

ويظهر ذلك الأثر الفلسفي الممزوج بنزعة التصوف الباطني في تفسيره لأصل الخلق ونشأة الكون، كقوله عند الحديث عن الروح والوحي في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ - مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52] فقال: "وهذه الحياة تنشأ من لدن عالم الجماد ثم إلى النبات ثم إلى الحيوان... ثم الإنسان ثم الولي ثم النبي ثم الملك، وبه يسمع الولي بالله، ويتكلم بالله، ويرى به ويبطش به..." (2).

ومن الأمثلة على ذلك: أتى ابن بركان في تأويل "البقرة" بإشارات غريبة، فقال هي: "السنة، والسنة مدة من المدد، والمدة قد تسمى أمة أيضا. قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:45]. وأما البقرة بمعنى السنة... فكان ذلك التأويل لذلك الخطاب في وصف البقرة واقفا على أمة فارس، أمة لا تستن بسنة نبي، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿إِنهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾ [البقرة:68] أي: مسنة يخبر عن قدم ملكهم بين ذلك، أي: ليست على هداية شرع، فكان ذلك من حكمه فيهم إلى مدة شاءها. ثم قالوا له من بعد ذلك ﴿أَذْعَ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنَ لَنَا مَا لَوْهَأُ﴾ [البقرة:69] فكانوا لذلك طالبين لبيان ما لا حاجة بهم إليه، فأجابهم جل ذكره بما هو وصف للبقرة المأمور بذبحها، وزيادة في نعتها لتعذر وجودها. وكان هذا ظاهر الخطاب، وباطنه إنذاراً لهم بعذاب واقع بهم على أيدي أمة من الأمم... (3).

ومن ذلك تأويله للجبل بالرجل العظيم، وأن قوله تعالى لموسى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ﴾ [الأعراف:143] بأن الجبل في خطاب الأنبياء هو الرجل العظيم مستندا في ذلك بما ذكره عن نبوة دانيال (4).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل:66]: "يقول وهو أعلم بما ينزل: خذوا علم القرآن من ظاهره وباطنه، واستخرجوا بالإيمان والهداية من الله من متشابه معاني الوحي نور الأبواب... كذلك في ظواهر الموجودات بواطن هي خلاف ما يبدو لكم منها معجبة كذلك في الوحي باطن يبدو مع الفكر وترداد التدبر مع الصبر وطول المثابرة... (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [النحل:67] أي: يعقلون

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن بركان (100/5).

(2) المصدر السابق، (80/5).

(3) المصدر السابق، (222/1).

(4) المصدر السابق، (215/5).

البواطن من الظواهر"⁽¹⁾. ومن ذلك: تفسيره التين والزيتون بأنهما جبلان بأرض الشام، وقيل: التين جبل بدمشق، والزيتون جبل ببيت المقدس⁽²⁾.

وقد تأثر ابن بركان بقوله في الظاهر والباطن بالغزالي، والذي صرح بها في كتابه الإحياء، فقال: "إذا قلنا في قوله ﷺ: (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة)⁽³⁾؛ فهذا ظاهره أو إشارته أن القلب بيت وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم، والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب... كلاب نابحة في القلب فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب، ونور الله لا يقذفه في القلب إلا بواسطة الملائكة، فقلب كهذا لا يقذف فيه النور... ولست أقول إن المراد من الحديث بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه، وفرق بين تغيير الظواهر إلى البواطن، وبين التنبيه للباطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر"⁽⁴⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أن معاني القرآن يكفي في معرفة معانيها ما يجري على اللسان العربي، وكل معنى مستتبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس تفسيراً. أما المعاني الباطنة فلا يكفي فيها الجريان على اللسان العربي، بل لابد مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان، فيصير به نافذ البصيرة في التفكير، ولهذا اشترط العلماء شرطين أساسيين حتى يصح هذا النوع من التفسير:

الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب. الثاني: أن يكون له شاهد نصا ولو في موضع آخر يشهد لصحته من غير معارض. فإذا لم يكن له ذلك صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن، والدعوة المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء⁽⁵⁾.

أما ما ينص عليه أهل التصوف في تفسيرهم كتاب الله بما يعرف بالتفسير الإشاري: فهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، وهذا الفهم والإدراك بزعمهم يظهر للعارفين بالله بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريم؛ فهذا النوع من التفسير يخضع للشروط التي ذكرها أهل

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن بركان (323/3).

(2) المرجع السابق، (515/5).

(3) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، ح رقم 3053. وأخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ح رقم 2106.

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي (182/1-183).

(5) انظر: الموافقات، الشاطبي (394/3)، وتفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، الذهبي ص 15-18.

العلم حتى يكون تفسيراً مقبولاً، وبدون هذه الشروط لا يقبل، ويكون عند ذلك من قبيل التفسير بالهوى والرأي المذموم⁽¹⁾.

3/ استخدامه للمصطلحات الصوفية:

لقد استخدم ابن برجان المصطلحات، كقوله في عبادة الذكر: "... إذ الذكر النافع الذي هو ذكر المكاشفة والمشاهدة⁽²⁾ يطهر العبد من كل دناءة، ومتى كان كذلك فهو فتى؛ لأنه إذا غلب الذكر الهوى فقد جمع أخلاق الفتوة وصفات العبودية، والفتوة مبنية على المروءة والسياسة. جمع ذلك قول الله: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان:9] هذه هي المروءة، ﴿لَا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ [الإنسان:10] هذه هي السياسة⁽³⁾.

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:65]: "هو خاص الخاص من العلم"⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: دخول علم الكلام إلى بلاد المغرب وأثر علم الكلام علي ابن برجان في صفات الله:

المطلب الأول: دخول علم الكلام إلى بلاد المغرب:

بداية لا بد من الإشارة إلى أن هذه المذاهب والاختلافات في أصول الدين لم يكن لها وجوداً في عهد النبي وصحابته الكرام؛ فقد كان الصحابة حول رسول الله ﷺ بالمدينة، وكان يسير الجيوش ويرسل الرسل لنشر الإسلام، فلما لحق بالرفيق الأعلى أكمل صحابته واجب نشر الإسلام وتفرقوا في البلاد. فلما كان عهد عمر ﷺ زاد انتشارهم بسبب الفتوحات الإسلامية، وحينها مصر عمر رضي الله عنه الأمصار، وأسكنها المسلمين، وأرسل إليهم الأمراء والولاة والمعلمين والعمال. فانتشروا في الأرض شرقاً وغرباً فكانوا عصب الإيمان، وأئمة الهدى، وأعلم الأمة بالكتاب والسنة وأفقه الناس في دين الله، وتوالت الفتوح الإسلامية في عهد عثمان ﷺ وسار تابعي الصحابة على منهج من قبلهم لقرب عهدهم

(1) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، الذهبي، ص15-18. واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي (1/366).

(2) المكاشفة والمشاهدة: المكاشفة هو حضور القلب ثم تأتي المشاهدة وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة أو شك. فالمكاشفة بأن تتكشف للقلب الغيوب فتحصل له المعرفة دون تفكير ولا تأمل، والمشاهدة بأن يشاهد العبد الغيب عياناً، وهو الاطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية. ويوصل الصوفي لدرجة الكشف، وهو ما يلقي في النفس عند تجريدتها من العوارض الشهوانية وإقبالها على المطلوب، فقد وصل للعلم اليقيني الذي ينكشف له فيه العلوم، ويرتفع عنه الغطاء فتتضح له الأمور حتى تجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه؛ لذا يزعمون أنهم يأخذون علمهم عن الله مباشرة بلا واسطة. انظر: الرسالة القشيرية، القشيري (1/184). واصطلاحات الصوفية، ابن عربي ص290. إحياء علوم الدين، الغزالي (1/18-22)، بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (1/263).

(3) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (3/444).

(4) المصدر السابق، (3/456).

بزمان ومكان النبوة، وتتلذهم على صحابة رسول الله، وأخذ عنهم أهل المدينة ومن هؤلاء إمام دار الهجرة مالك بن أنس ت179هـ، فقد نشأ مالك بالمدينة ونهل علومه من مدينة رسول الله ﷺ، والتي كانت من أغنى الأمصار بالسنة النبوية في العصور الأولى، وآثار الصحابة ﷺ والتابعين وفتاويهم. وأخذ عن مالك جم غفير ونشروا فقهه ومنهجه -الذي هو منهج السلف من الصحابة والتابعين- في الآفاق شرقاً وغرباً⁽¹⁾.

قال الذهبي ت748هـ: «ومذهبه قد ملأ المغرب والأندلس، وكثيراً من بلاد مصر، وبعض الشام، واليمن، والسودان، وبالبحيرة، وبغداد، والكوفة، وبعض خراسان»⁽²⁾.

وتوالى تلاميذ الإمام مالك على نشر المذهب المالكي في مختلف الأصقاع، وكانت مصر أول أرض انتشر بها بعد المدينة وغلب عليها وأطبق أهلها على الاقتداء به⁽³⁾، أما المغرب فكان أول من أدخل مذهب الإمام مالك هو: زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبظون ت204هـ⁽⁴⁾، وذلك بعد أن أدخله إلى الأندلس ثم انتشر في المغرب كلها بعد أن رحل كثير من فقهاء المدينة والتقوا بالإمام مالك ثم عادوا فذكروا للناس علمه، وأبانوا فضله⁽⁵⁾.

وكانوا تلامذة الإمام مالك من أئمة السلف أهل السنة والجماعة، ومن هؤلاء في بلاد المغرب: إمام المالكية في زمانه الذي كان يُقال له مالك الصغير الإمام عبد الله بن أبي زيد القيرواني ت386هـ، والإمام العلامة أبو عمرو الطلمنكي ت429هـ، والإمام أبو بكر بن وهب المالكي ت453هـ، وحافظ المغرب في زمانه إمام الأندلس بل المغرب الحجة العلامة أبو عمر ابن عبد البر ت463هـ، والإمام المقرئ الكبير الحافظ أبو عمرو الداني ت444هـ.

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، اليحصبي (65/1)، وانظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، اليعمري (60/1).

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي (177/7).

(3) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، اليحصبي (25/1). انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقرئ (151/4)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب (40/1)، شرح مختصر خليل، الخرشني (49/1).

(4) انظر: تاريخ علماء الأندلس، الأزدي (182/1)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الحميدي (ص218).

(5) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، اليحصبي (26/1)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقرئ (150/4)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ (45/2، 46).

قال الإمام الذهبي: " كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصيلي، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو عمرو الطلمنكي، ومكي القيسي، وأبو عمرو الداني، وأبو عمر بن عبد البر"⁽¹⁾.

واستمر الأمر على السنة واتباع منهج الصحابة وتابعيهم حتى ظهرت البدع والفرقة وبرز أهل الأهواء، وحصلت الفتن وابتلى المسلمون بذلك، وقويت شوكة الأشاعرة⁽²⁾ وغيرهم من أهل الكلام، وكانت المعتزلة⁽³⁾ والجهمية⁽⁴⁾ قد قويت شوكتهم في أواخر القرن الثاني، لما تأثر بهم الخليفة المأمون ت218هـ، حتى حصلت تلك الفتنة العظيمة، التي امتحن فيها العلماء، وأوذى فيها الإمام أحمد ت241هـ أذى عظيماً، وهي فتنة القول بخلق القرآن.⁽⁵⁾

وكانت بلاد المغرب على مذهب السلف في أصول الدين زمن دولة المرابطين (451-541هـ)، فلما اظهر محمد بن تومرت المغربي المصمودي الأشعري ت524هـ دعوته، كفر مخالفه من المغاربة، واستباح دماءهم أموالهم، ودخل في حروب طاحنة مع المرابطين، وأدخل المغرب الإسلامي في فتنة دامية، وفرض العقيدة الأشعرية، وعندما ثُو في واصل أتباعه دعوته، وارتكبوا مجازر رهيبه في حق المرابطين عندما دخلوا مدينة مراكش سنة 541هـ.⁽⁶⁾

(1) سير أعلام النبلاء الذهبي (17/ 557) وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (4/ 177).

(2) الأشاعرة: فرقة كلامية تبنت آراء أبي الحسن الكلامية بعد رجوعه عن مذهب المعتزلة، وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبغاً؛ لأن العقل بزعمهم دل عليها، وهي: السمع والبصر والإرادة والعلم والقدرة والحياة والكلام، ويعتقدون أنه كلام نفسي، ويسمونها صفات المعاني، وأولوا بقية الصفات، وهم مرجحة في الإيمان جبرية في القدر. انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري ص290، الملل والنحل، الشهرستاني (1/ 94-106)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية (3/ 102) (12/ 134، 165).

(3) المعتزلة: كان أول ظهورهم في أيام الحسن البصري ت110هـ حينما خالفه واصل بن عطاء ت181هـ في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد ت144هـ، فطردهما الحسن عن مجلسه، فاعتزلا في سارية من سواري مسجد البصرة، فقبل لهما ولأتباعهما: معتزلة؛ لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص13-16)، الملل والنحل، الشهرستاني (1/ 29).

(4) الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي قُتل سنة 128هـ في حراسان. قام مذهبه على تعطيل ونفي صفات الله، أخذ مذهبه من الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري بعد صلاة عيد الأضحى سنة 105هـ؛ لنفيه صفات الله. انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي ص211. الملل والنحل، الشهرستاني = (1/ 97).

(5) انظر: دره تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (6/ 252)، والصفدية، ابن تيمية (2/ 162)، وجمع الجيوش والدساكر، ابن عبد الهادي (ص105).

(6) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (19/ 645)، المنار المنيف، ابن القيم ص153، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الناصري (1/ 96، 196).

وقد ذكر المقرئزي ت845هـ في خطله الأسباب التي أدت إلى انتشار العقيدة الأشعرية، وكيف وصل لبلاد المغرب، فقال: "فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلاثمائة، وانتقل منه إلى الشام، فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب، قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفتها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخصام وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليتهم الملوك من الأتراك، واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي، وتلقب بأمر المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبج دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهدي المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلأق لا يحصوها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتها مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل "رضي الله عنه"، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات، إلى أن كان بعد السبعمئة من سني الهجرة، اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة، وصعد بالنكير عليهم وعلى الرافضة، وعلى الصوفية..."(1).

ويتبين من كلام المقرئزي تأكيده على أن سبب انتشار المذهب الأشعري قوة الحاكم ليس إلا، وأن دخوله لبلاد المغرب كان بسبب فرض ابن تومرت له على الناس لما حكم المغرب والأندلس.

وممن ساهم في إدخال علم الكلام لبلاد المغرب ومزجه بتصوف الأوائل أبو ذر الهروي، فقد أخذ الكلام ورأى أبي الحسن (الأشعري) عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبث ذلك بمكة وحمله

(1) انظر: المواظ والاعتبار بذكر الخط والاثار، المقرئزي (4/ 192).

عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس، وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون
 الفقه والحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات"⁽¹⁾.

وقد عارض علماء المغرب المتقدمون مذاهب أهل الكلام ومن أبرز من تصدى لها: الإمام أبو عمر
 بن عبد البر، وكلامه في إثبات الصفات التي ينفيها الأشعرية مشهور، قال "رحمه الله": "أهل السنة
 مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا
 على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة"⁽²⁾.

وقال أبو عمر الطلمنكي: "أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا
 على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان، ثم قال: وأجمع
 المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4] ونحو ذلك من
 القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه، كيف شاء"⁽³⁾.

وهذا الاعتقاد الذي نقله ابن عبد البر وقرره الطلمنكي يخالف عقائد الأشعرية في الجملة؛ فإن
 مذهب الأشاعرة يقوم على حمل نصوص الصفات على المجاز لا على الحقيقة، إلا ما قرروه في بعض
 الصفات مما يسمونها صفات المعاني كما هو منصوص في كتبهم.

المطلب الثاني: أثر علم الكلام على ابن برجان في صفات الله:

موقف ابن برجان في تقرير مسائل التوحيد المتعلقة بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته أكثر سلامة
 وموافقة لمعتقد أهل السنة في الجملة، بخلاف مسائل الصفات فقد ظهر أثر أهل الكلام عليه واضحاً،
 وبين ذلك في المطالب الآتية:

أولاً: موقف ابن برجان من التأويل:

جعل ابن برجان التأويل على نوعين:

الأول: من أوله ورددته إليه، كتأويل الرؤيا صرفتها إلى أمها التي ابتدأت منه.

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي (17 / 557)

(2) التمهيد، لابن عبد البر (7 / 145).

(3) العلو للعلي الغفاري، الذهبي ص 246. وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (3 / 219)، واجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم
 ص 76.

الثاني: مأخوذ من المأل، وما يرد منه إلى ما يؤول إليه. فتأويل نصوص أسماء الله وصفاته والنبوة هو صرفها إلى أوليتها ومآلها وكذا خطاب الأمر والنهي.

فإذا كانت مما استأثر الله بعلمه: كموت الإنسان وقيام الساعة ونحوه كان الوقف على لفظ الجلالة في آية آل عمران ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ - كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]؛ لأن مآلها لا يعلمه إلا الله، وإذا كان التأويل بمعنى رد الشيء إلى أوله كان الوقف على الراسخين في العلم⁽¹⁾.

أما التأويل المقبول في نظره، فهو "أن يبذل المجتهد جهده في طلب الحق، ويرغب إلى الله" جل ذكره" في إصابة الصواب، فما فتح الله "جل جلاله" وتعالى شأنه عليه من الحق المبتغى حمد الله تعالى على ذلك، وما اغتم عليه منه رد علم تأويله إلى الله وإلى رسوله والراسخين في العلم، فذلك أسلم من الفتنة، وأجدر له أن يعلمه الله ويفتح عليه، فطالب التأويل في الكتاب السنة طائع، وفعله ذلك طاعة كبيرة وقربة إلى الله تعالى، وزلفى إذا صحّت النية، وسلم المقصد من الزيغ والفتنة"⁽²⁾.

وفي استدلال ابن برجان بأحاديث الرسول ﷺ يستخدم التأويل على طريقة أهل الكلام فيما لا يوافق معتقده، فيتأول بعض الصفات الفعلية، أو ما يسمى بالاختيارية، ويثبت بعضها مما يسمى بالصفات العقلية، ومن الأمثلة على ذلك:

1/ صفة المحبة: يورد ابن برجان الأحاديث الدالة عليها، ثم يتأولها على طريقة أهل الكلام؛ فعند قوله ﷺ: (لا يزال عبدي يتقرب إلي...) (3) قال: "وإذا تحصل هذا للعبد فهو الحب كله الذي قال فيه الحب تعويض الصفات. أي أن الله "جل ذكره" يعوضه من صفات نفسه صفاتاً منسوبة إليه، جل ثناؤه في سمعه وبصره وبطشه ومشيه وكلامه وصمته إلى غير ذلك"⁽⁴⁾.

2/ صفة القدم: قال: "ومصداق تأويل ذكر القدم قوله: ﴿وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ [يونس: 2] فتأويل القدم هنا ما قد قدمه في قدمه الأمر: (إن رحمتي تغلب غضبي)"⁽⁵⁾.

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (493/1-494).

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (497/1).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح رقم 6137.

(4) تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (521/1).

(5) المصدر السابق، (82/1). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) ح رقم 6969. ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، ح رقم 2751.

وعند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق:30]، أورد ابن برجان قوله ﷺ: (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع الرحمن فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض) (1) ثم قال: "إذا كان الماء ممن جعل فيها فإنما يكون ذلك حال دولة الزمهيرير وضع فيها جل ذكره قدمه الذي قدمه في قدمه تقديره الأول... - إلى أن قال - وذكر القدم ها هنا عبارة عن قوله العلي في قدمه الامر يوم استوى على العرش الكريم (إن رحمتي تسبق غضبي)" (2).

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم:42] قال: "والساق: الشدة" (3).

وله تأويلات مبهمه لا يتبين ولا يفهم مراده، وكثير منها يقصد بها معان لم تثبت شرعاً، ولم تُنقل عن أحد من السلف؛ ولذا غالباً يختم عباراته المبهمة بألفاظ تشير إلى أنه يعلم باستشكال فهم القارئ له كقوله: "وأسماء الله في القرآن تزيد على المئة تنبيهاً في رؤوس الآي، وفي أثنائها وهي القرآن العظيم حيث جاء اسمه وذكره، ذكراً كان أو تحميداً أو تمجيداً، وكيف جاءت أسماءه في القرآن فافهم!" (4).

فمراده بالقرآن العظيم أسماء الله؛ فإنه أورد قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر:21] ثم قال: "ثم جعل ينسق ذكر أسمائه العظام إلى آخر السورة، وإلا فما معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:87] والقرآن كله عظيم! إن لم يكن مقصود هذا الخطاب ذكر أسمائه وصفاته، لكن كلام الله وسع ذلك كله" (5)، ثم قال مؤكداً: "هو ذكر أسمائه وصفاته" (6).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة ق، ح رقم 4567. ومسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، ح رقم 2846.

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (182/5-183).

(3) المرجع السابق، (369/5).

(4) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (74/1).

(5) المصدر السابق، (74/1).

(6) المصدر السابق، (77/1).

ثانياً: أثر علم الكلام على ابن برجان في تقرير أسماء الله وصفاته.

يثبت أهل الكلام أسماء الله وصفاته الخبرية في الجملة، وتأولوا بعضها على مذهب ابن كلاب 243هـ الذي نقله عنه الأشعري 324هـ في المقالات، فقال: "قال عبد الله بن كلاب: إن الله سبحانه لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته وأنه لم يزل عالماً قادراً حياً سميعاً بصيراً عزيزاً جليلاً كبيراً عظيماً جواداً متكبراً واحداً صمداً فرداً باقياً أولاً سيداً مالكاً رباً رحماناً مريداً كارهاً محباً مبغضاً راضياً ساخطاً موالياً معادياً قائلاً متكلماً بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة وجلال وعظمة وكبرياء وكرم وجود وبقاء والهيبة ورحمة وإرادة وكراهة وحب وبغض ورضى وسخط وولاية وعداوة وكلام، وأن ذلك من صفات الذات وأن صفات الله هي أسماؤه. وأنه لا يجوز أن توصف الصفات بصفة ولا تقوم بأنفسها، وأنها قائمة بالله. وزعم أنه موجود لا بوجود، وأنه شيء لا بمعنى له كان شيئاً، وأن صفاته لا هي هو ولا غيره. وكذلك القول في الصفات أنها لا تتغير كما أنها ليست بغيره، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها، وكذلك سائر الصفات"⁽¹⁾.

فابن كلاب يثبت الأسماء لله وصفات الذات، ويعني بأن الله عالم أن له علماً، وقادر أن له قدرة، وحي أن له حياة، وهكذا القول في سائر أسمائه وصفاته. وكان يقول: إن أسماء الله وصفاته لذاته لا هي الله ولا هي غيره، وهي قائمة بالله، ويعتقد أن صفات البارئ لا تتغير، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها. وكذلك كل صفة من صفات الذات لا هي الصفة الأخرى ولا غيرها⁽²⁾.

وهذا هو قول الأشعري فأثبت أسماء الله تعالى، وصفاته الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين، يقول في رسالته لأهل الثغر: "وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً حياً قادراً عالماً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً على ما وصف به نفسه، وتسمى به في كتابه، وأخبرهم به رسوله، ودلت عليه أفعاله. وأن وصفه بذلك لا يوجب شبهه لمن وصف من خلقه بذلك، من قبل الشئيين لا يشبهان بغيرهما، ولا باتفاق أسمائهما، وإنما يشبهان بأنفسهما؛ فلما كانت نفس الباري تعالى غير مشبهه لشيء من العالم بما ذكرناه آنفاً؛ لم يكن وصفه بأنه حي وقادر وعالم يوجب تشبهه لمن وصفناه بذلك منا، وإنما يوجب اتفاقهما في ذلك اتفاقاً في حقيقة الحي والقادر والعالم، وليس اتفاقهما في حقيقة ذلك يوجب تشابها بينهما..."⁽³⁾.

(1) انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري (398/2).

(2) المصدر السابق، (138/1).

(3) رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري ص213، 215-216.

واستدل بالأدلة السمعية والعقلية على ذلك، ثم قال: "ولا يجب إذا أثبتنا هذه الصفات له عز وجل على ما دلت العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها أن تكون محدثة؛ لأنه تعالى لم يزل موصوفاً بها، ولا يجب أن تكون أعراضاً؛ لأنه "عز وجل" ليس بجسم، وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويدل بأعراضها فيها، وتعاقبها عليها على حدثها. ولا يجب أن تكون غيره عز وجل؛ لأن غير الشيء هو ما يجوز مفارقة صفاته له من قبل، وأن في مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الألوهية، وهذا يستحيل عليه، كما لا يجب أن تكون نفس الباري عز وجل جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو في مكان دون مكان، أو في غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقتها لنا؛ فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا، ولا يجب إذا لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفسه، لاستحالة كونه حياة أو علما أو قدرة؛ لأن من كان كذلك لم يتأت منه الفعل، وذلك أن الفعل يتأتى من الحي القادر العالم دون الحياة والعلم والقدرة"⁽¹⁾.

وبالنظر إلى تفسير ابن برجان يلاحظ أنه يثبت معاني الأسماء الحسنى، ويقسم الصفات إلى صفة ذات وصفة معنى⁽²⁾، وهو ما قرره أهل الكلام كابن كلاب والأشعري.

يثبت ابن برجان كثيراً من أسماء الله وصفاته الخيرية الواردة في الكتاب والسنة.

ويُفهم من قول ابن برجان: "قد كان الله أحداً صمداً لم يكن موجوداً سواه أحد، ثم أوجد الموجودات وفطر الأرضين والسموات، فكان هذا الواحد الجامع لكل شيء مذكور معدوم أو موجود؛ فكذلك اسمه الله جامع لسائر الأسماء الظاهرة وأوجد الموجودات على مقتضياتها"⁽³⁾ معنى ما يذكره السلف في عقائدهم، كقول الطحاوي: "ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري"⁽⁴⁾.

وفي رده على من وقع في التأويل خشية التمثيل المتبادر إلى ذهنه بين موقفه، ولو أنه سار في جميع أقواله على ذلك، وحرر عباراته المجملة؛ لسلم ولوافق قول السلف. وهو في ذلك كغيره من الصوفية ممن تأثر بالمناهج الكلامية، فقد فسر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4] فقال: "غير متصل بخلق ولا مفارق، وغير مماس للكون ولا مباعد، بل منفرد بنفسه متحد بوصفه سبحانه وله الحمد. كما أنه ليس كمثل شيء فكذلك ليس كوجوده وجود، وليس كشأنه شأن. كان في أزل أزله

(1) المصدر السابق، ص 217-219.

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (200/2).

(3) المرجع السابق، (1/86).

(4) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص 87.

بأسمائه ووصفه وصفاته، وهو الآن على ما لم يزل عليه، وخلق كل شيء فقدره تقديراً". وانتقد من لم يحجر العبارات، وظن أن في إثبات هذه الصفات تمثيلاً لله بخلقه؛ فتأولها. ولو أنهم صفت عقولهم وبصائرهم لانعدم توهم مماثلته للمعدومات أصلاً "جل القديم الأول أن يكون في حضرته الجلالية صفة حديثة، كما استحال أن تكون الأمور الحديثة صفات قديمة، ليس كذاته ذات، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة..."(1).

وتطرق ابن برجان إلى مسألة هل الاسم هو المسمى؟ وذكر أنها من المسائل التي ذكرها السلف وتبعهم الخلف، وقرر أن هناك تبايناً واختلافاً بين الخالق والمخلوق؛ وسبب ذلك أننا في هذه الدار في غيبة عنه، وهو من الإيمان بالغيب، فأقام لنا سبحانه غيب حضوره بالإخبار عنه والإعلام به مقام المشاهدة، والذكر مقام المذكور، والاسم مقام المسمى، والعلم والمعرفة به مقام الرؤية(2).

وعند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:4] قال: "فأخبر في هذا عن وجود له خاص مع عباده المؤمنين، زائد على وجوده العلي بالخلق" ثم قال: "ومعهود بتقرير الشرع ووجود الوحي؛ أنه أقرب إلى العباد من أنفسهم وذواتهم إليهم، كذلك شأنه في سائر الوجود، فأسماءه من هذه الجهة هي هو. ومقصوده أن الله كان في الأزل متصف بالوحدانية، وهو كذلك بعد أن أوجد مخلوقاته، وتعرف علينا بما له في الخليقة من خلق وأمر وتسمى بذلك. وكل ما عبر عنه باسم الألوهية، أو غيره من الأسماء فهو هو؛ لأنه لا تغاير في الأسماء من حيث هي أسماء، إنما التغاير في مقتضياتها والمفهوم منها"(3).

وعند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم:8] قال: "وقد تقدم أن القرب قربان: قرب خلقه، فهو أقرب إلى كل موجود من نفس ذلك الموجود، وأقرب إلى العين من القوة الباصرة، وأقرب إلى الروح من حامله، ومن حياة الحي إلى الحي. وقرب آخر، هو قرب ولاية، هو أغرق في وصف القرب من الأول..."(4).

وقد اتهم ابن برجان بالقول بالحلول؛ ولعل هذه التهمة فهمت من عبارات صرح فيها بوجود الله في كل مكان، ولهذا يقول ابن تيمية: "... وما وقع في كلام أبي طالب من الحلول سرى بعضه إلى غيره من الشيوخ، الذين أخذوا عنه كأبي الحكم بن برجان ونحوه"(5).

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (200/2).

(2) المصدر السابق، (63/1).

(3) المصدر السابق، (64-63/1).

(4) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (210-209/5).

(5) شرح حديث النزول، ابن تيمية (ص119).

وفي موضع آخر يصرح بإنكاره القول بالحلول، فيقول عند الحديث القدسي: (ابن آدم مرضت فلم تزرني، وجعت فلم تطعمني، وعريت فلم تكسني... أما إنك لو فعلت ذلك بعبي فعلته بي)⁽¹⁾:
 "واعلم أن هذا التقريب ليس مما رجة، ولا بحلول، بل هو ما عبر عنه قول رسول الله ﷺ: (مولى القوم منهم)⁽²⁾، ألا ترى أنه متى وصفه بطاعته والرضا عنه أضافه إليه ونسبه إليه بالولاية والحفاية والتقريب، وإذا وصفه من حيث هو نسبه إلى أصله، وأضافه إلى محتده، كذلك مولى القوم ينصرهم وينصرونه، ويحالفهم ويحالفونه وهو منهم"⁽³⁾.

وقال أيضاً: "قد استولى المذكور الحق على الفؤاد فامتلاً به، وعلى الجوارح فصرفها إليه، جعله ﷻ وتعالى شأنه على إشارته وموضع تكليمه ومحادثته من غير اتحاد ولا حلول، بل قدرة من عزيز عليهم"⁽⁴⁾.

وبين شيخ الإسلام تناقض كلامه، فقال: "والقول الرابع: قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان، وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله، وقد ذكر الأشعري في المقالات هذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمية كأبي طالب المكي وأتباعه مثل أبي الحكم بن برجان وأمثاله ما يشير إلى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا"⁽⁵⁾.

ومن إنصاف شيخ الإسلام اعتذاره للعلماء، حيث اعتذر لابن برجان ونحوه فقال: "وفيهم صنف ثالث أمثل من هذين يجمعون بين الحلول والمباينة وهو قول طائفة من الناس كأبي معاذ التومني وغيره، وقد يوجد في كلام أبي طالب المكي وابن برجان من الكلام الذي أنكروه طائفة من الشيوخ كالشيخ أبي البيان الدمشقي وغيره ما يقال أن فيه ما يشبه هذا، وعامة هؤلاء يتكلمون بكلام متناقض أو بكلام لا حقيقة له؛ إذ كان الأصل الذي بنوا كلامهم عليه أصلاً باطلاً..."⁽⁶⁾.

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ح رقم 2569.

(2) أخرجه الترمذي في سننه (37/3/ح 657) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في سننه (107/5/ح 2612)، والحاكم في مستدرکه (1/561/ح 1468) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(3) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (2/208).

(4) المصدر السابق، (1/413).

(5) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية (1/71).

(6) الصفدية، ابن تيمية (1/264-265).

وقال: "وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول والاتحاد... ولهذا عدل أبو الحكم بن برجان عن هذا اللفظ إلى لفظ التعبد"⁽¹⁾.

فتصريح ابن برجان بوجود الله في كل مكان جعل الكثير يتهمون به بالحلول، ولئلا يفهم أحد عنه القول بذلك نفى بشكل صريح اللوازم المترتبة عن هذا القول فقال: "حقيقية وجوده لا في حيث ولا في كيف ولا متى ولا أين؛ إذ أحكام الخليفة وتوابع الوجود لا تتاله، ولا ينبغي لها الوصول إليه بوجه، بل هو الذي حجبها عنه بها وبما شاء من أحكام مشيئته ونعوت تعاليه وشموخ عظمته، له المثل الأعلى في السموات والأرض وفيما علا، هو العزيز الذي امتنع عما لا يجوز عليه ويستحيل لديه، الحكيم الذي أحكم الموجودات شاهدة له... وهو على ذلك النزيه القدوس عما أوجده في الخليفة، كذلك وجوده العلي، وهو في كل مكان بحيث لا مكان، ومع كل شيء لا صحبة ولا حلول"⁽²⁾.

وأزال ابن برجان ما أشكل في فهم الوجود وما يتعلق بالمكان والزمان فقال: "أصفق الإجماع على أن المكان محصور محاط، والمحيط به وحاصره هو الله خالقه... غير متصل بخلق، ولا مفارق، وغير مماس للكون ولا مباعد، بل منفرد بنفسه متحد بوصفه -سبحانه- وله الحمد، كما أن ليس كمثل شيء فكذلك ليس كوجوده وجود، وليس كشأنه شأن، كان في أزل أزله بأسمائه ووصفه وصفاته، وهو الآن على ما لم يزل عليه"⁽³⁾.

ومن الصفات التي أثبتها: رؤية الله، لكنه وقع في أغلاط عند تقريرها؛ فأثبت رؤية الله بما ورد من الأدلة في الكتاب والسنة، وقررها بالدليل العقلي من خلال استنباط ما قص الله عن أنبيائه ومن ذلك: استدلال بما حدث لموسى "عليه السلام" عند ملاقاته ربه، وتعليق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز. وقال رحمه الله بعد إيراد آيات الرؤية وما أخبر به النبي ﷺ: "وهذه الرؤية المذكورة الدائمة لهم... وقد وعد وعداً حقاً بأن يتجلى لهم فيرونه عياناً، ويكلمهم كفاحاً عز جلاله وتعالى شأنه"⁽⁴⁾.

وقال عند قوله تعالى: ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَّحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: 15]: "كما حجبوا عن العلم به في هذه الدنيا، حجبوا عن رؤيته في الآخرة"⁽⁵⁾. ثم قال عند قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْزَاقِ

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (2/338).

(2) المصدر السابق، (1/131).

(3) المصدر السابق، (2/199، 200).

(4) المصدر السابق، (2/251)، و(2/253-255، 361).

(5) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (5/463).

يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين:23]: "أي ينظرون إلى ربهم "عز جلاله" كما قال رسول الله ﷺ : (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر)(1)"(2).

وقال في سورة الإسراء بعد الحديث هل كان الإسراء بجسده ﷺ أم بروحه، قال: "فصل، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ أَبْصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:13-17] فأخبر جل جلاله نصا غير محتمل أنها كانت منه رؤية بصر"(3). فلما وصل إلى سورة النجم قال عند قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:11]: "فأخبر الصادق أن رؤية هذا الإسراء كان رؤية فؤاد"(4).

مما يدل أن ابن برجان متناقض في موقفه من رؤية النبي لربه وفيما رآه ﷺ في معراجه؛ ذلك أنه تارة يفسرها رؤية فؤاد وتارة يقرر الرؤية البصرية.

والحقيقة أنه بعد أن فسر المراد بالرؤية والتنزل في أكثر من موضع - في سورة الإسراء والنجم - أتى بخلاصة قوله في هذه الآيات، فقال: "وبالجملة فالرؤية تتفاضل في حق الرائيين كما تتفاضل رؤية الآيات في حق الرائيين حتى أن منهم من لا يراها آية البتة، كذلك سماع القرآن منهم من لا يسمع ما يقول الا قولاً وصوتاً. ليست رؤية -الرائي- من رآه في المنام كرؤية الإسراء، ولا رؤية الإسراء كرؤيته سبحانه وتعالى جل شأنه في الجنة، ولا يستوي إمضاء رؤية الرائيين له في الجنة، بل إنما الرؤية على قدر القرب والعلم، والله أعلم، يقول الحق وهو يهدي السبيل. أتبع ذلك قوله: ﴿مَا زَاغَ أَبْصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:17] فأخبر الصادق "عليه السلام" أنها رؤية بصر كما أخبر عن تلك بأنها رؤية فؤاد. نظم ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:18] وكأنه أوقع رؤية البصر على رؤية الآيات هذا على ظاهر الخطاب، وإنما هذه إخبار ورجوع إلى الإسراء الأول، ويترجم معنى الخطاب إلى رؤية الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:13] والتنزل: فعل الرب جل ذكره وهو بمعنى الدنو المتقدم ذكره، فذكر نزلتين ورؤيتين:

(1) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ح رقم 529. وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، ح رقم 633.

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (465/5).

(3) المصدر السابق، (367/3).

(4) المصدر السابق، (212/5).

الأولى: رؤية فؤاد. والأخرى: قال فيها: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:17]"(1).

كما أنه يثبت الرؤية وأن المنفي هو الإحاطة بالله، فقال: "وقد تجلى ربنا لجبل من الجبال وصار دكا لما رآه، وكان ذلك المراد منه، وعلى التحقيق إنما نفى الله جل ثناؤه أن تدركه الابصار؛ إذ الإدراك إحاطة وجل جلال ربنا عن ذلك، بل هو يدرك الأبصار ولا تدركه"(2).

وقال: "في سؤال موسى الرؤية دليل دال على جوازها؛ المعلوم بأنهم الأئمة المقتدى بهم، وهو أعلم البشر بربهم، وما يجوز عليه وما يستحيل، وإنما قال له ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف:143]، أي: في الدنيا قطعاً، ويكون المعنى أيضاً: لن تراني أنت قبل الموت، ومن الجائز الممكن أن يكون موسى عليه السلام قد أعلمه ربه ﷻ أنه يرى... -إلى أن قال- ثم جعل له استقرار الجبل آية منه على جواز الرؤية منه له، وفي ضمن ذلك أنه لا يطبق الرؤية إلا من طوقه الله إياها وأيده عليها... ولو كانت الرؤية ممتعة ألبتة لم يجعل استقرار الجبل آية على كونها، وليس المعهود من الجبل إلا الاستقرار"(3).

ثالثاً: أثر علم الكلام على ابن برجان في تقرير الصفات الفعلية -الاختيارية-

ظهر تأثر ابن برجان بمذهب أهل الكلام في أقواله في الصفات الاختيارية لله؛ فيذهب إلى القول بأزلية الصفات كلها دون أن يفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، فيجعل صفات الرضى والسخط والمحبة والكرم والجود أزلية، كالسمع والبصر والحياة، حتى لا يفهم منها ما يدل على الصفات الاختيارية له تعالى.

وهذا القول أظهره ابن كلاب، فتأثر به كثير ممن خالف مذهب أهل السنة، ووجدت تلك الأفكار والأقوال طريقها لدى من ابتعد عن منهج السلف. وكان أول من أدخل هذه المناهج الكلامية في اعتقادات الصوفية هو: الحارث المحاسبي ت243هـ، وتأثر به الصوفية، ومنهم ابن برجان(4).

وبسبب تأثره بمذهب أهل الكلام؛ اضطرب في تقرير صفة العلو بين الإثبات والنفي، فحاول إثبات الصفات الفعلية: كالنزول والصعود والمجيء من غير تكييف ولا تحيز، فقال: "وعلومهم هذه مبنية على قواعد الإيمان العلي، وهو أن الله -تعالى- هو الواحد الصمد ذو الأسماء الحسنی والصفات العلا على سواء التوحيد الأعلى. وقواعدهم التي أسسوا عليها أساطين بنيانهم هي أن الله ﷻ لا يعجزه

(1) المصدر السابق، (213/5-214).

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (214/5).

(3) المصدر السابق، (216/5).

(4) المصدر السابق، (520/1).

شيء، ولا يفوته شيء ماضي الأمور لديه كمستقبلها إن شاء ردها فكأنها لم تكن، وإن شاء أمضاها فكأنها لم تنزل، وإن شاء أن يصعد صعد ولا يخلو منه السفلى، وإن شاء نزل ولا يخلو منه العلو، من غير تكييف لصعود ولا نزوله سوى الإيمان بأن له نزولاً وصعوداً، وإنه في كل مكان ومع كل موجود دون مكان، ولا معية صحبة ولا حركة ولا انتقال، بل هي صفات له وأوصاف يوصف بها، اتصف بها في وجوده الأزلي ما ها هنا صفة مما يعبر به عن ذلك مأخوذ عما هنالك، وتلك منزهة عن أوصاف المخلوقين ونعوت المحدثين، وهو الذي لا يتعذر عليه أن يتصف بما شاء. وله المثل الأعلى بكل وجه وبكل معنى، إن شاء تكلم ولا يزداد بالكلام قدره، وإن شاء لم يتكلم ولا ينقصه ترك الكلام قوة، لا يعتوره حدث السكوت والكلام، إن شاء أسمع الخلق كلاماً بلا إلهام، وإن شاء قوى أبصار العباد على رؤيته... (1).

وقال: "كثر الاختلاف بين علماء الأمة "رضوان الله عليهم" في وصفه سبحانه بالمجيء والتنزل والإتيان ونحو هذا، لكن الله جل ذكره لم يخرج جملة الأمة من اعتقاد الحق وإن كان قد فرقه بينهم كل على المقدار الذي قد آتاه من الهدى والعلم؛ فمنهم من تأول المجيء بأنه يجيء أمره ومنهم من قال: إن أمره نازل منه وصاعد إليه أبداً فما معنى تخصيص هذا الخطاب بالمجيء وفي هذا الوقت؟... لكني أقول: أنه يجيء وأنه ينزل وينزل ولا أكيف ولا أصفه بانتقال ولا زوال أو من بالخبر ولا أكيف ولا أشبه، وفصل الخطاب في الإيمان بذلك ومعتقده، والله الموفق للصواب: أنه تعالى يجيء وينزل حقيقة ليس كالنزول المعهود ولا المجيء المعلوم منا فيحل في مكان ويخلو منه مكان لكن كما قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان:25] فأخبر أن السماء تشقق بالغمم الذي يأتي الله سبحانه وتعالى جل شأنه فيه. يقول عز من قائل: والغمم من أمره ويتقدم ظهوره العلي للخلقة وكذلك نوره العلي من أمره وتتقدمه آية ذلك الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ونورهن وضياؤهن يتقدمهن، فالمجيء والإتيان يقعان على إتيان أمره بين يدي تجليه. وأما هو بعد تصديق الخبر الحق بالإتيان والمجيء فلا يتصور منه انتقال ولا حركة إنما هو تجليه وظهوره حسب متى شاء وكيف شاء وأين شاء، وهو القريب الشهيد كيف يتصور مجيء ممن لا يوصف بغيبة؟ كيف يتحقق إتيان ممن لم يكن منه ذهاب" (2). وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى﴾ [النجم:13]: "والتنزل مما يوصف به رب العزة جل ذكره" (3).

(1) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (57/3).

(2) المصدر السابق، (493/5).

(3) المصدر السابق، (212/5).

وقال في تفويض صفتي الصعود والنزول: "وإن شاء الله أن يصعد صعد ولا يخلو منه السفلى، وإن شاء نزل ولا يخلو منه العلو، من غير تكييف لصعوده ولا نزوله، سوى الإيمان بأن له نزولاً وصعوداً"⁽¹⁾.

وبشكل عام فإن منهج ابن برجان متذبذب بين التأويل والتفويض لنصوص الصفات، في محاولة منه للتوفيق والجمع بين منهج السلف والأشاعرة، ومن ذلك تفسيره للمجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَأَمْلَأَ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر:22]؛ فذكر اختلاف علماء الأمة في فهم صفة المجيء والإتيان والنزول، ونحو ذلك، ورأى أن يتخذ موقفاً وسطاً من الخلاف، ويعطي لكل رأي حظه من الصواب، وتحرز من تخطئة أي منهم، وعلل ذلك بأن الله- جل ذكره- لم يخرج جملة الأمة من اعتقاد الحق وإن كان قد فرقه بينهم كل على المقدار الذي قد آتاه من الهدى والعلم، فذكر المذهبين المشهورين في التأويل والتفويض ثم ذكر اعتقاده، فقال: "لكني أقول: إنه يجيء، وإنه يتنزل وينزل، ولا أكيف، ولا أصفه بانتقال ولا زوال، أو من بالخبر ولا أكيف ولا أشبه، وفصل الخطاب في الإيمان بذلك ومعتقده، والله الموفق للصواب: أنه -تعالى- يجيء وينزل حقيقة ليس كالنزول المعهود ولا المجيء المعلوم منا، فيجل في مكان ويخلو منه مكان... فالإتيان والمجيء يقعان على إتيان أمره بين يدي تجليه، وأما هو بعد تصديق الخبر الحق بالإتيان والمجيء فلا يتصور منه انتقال ولا حركة، إنما هو تجليه وظهوره حسب متى شاء وكيف شاء وأين شاء، وهو القريب الشهيد، كيف يتصور مجيء ممن لا يوصف بغيبه؟ كيف يتحقق إتيان ممن لم يكن منه ذهاب؟"⁽²⁾.

موقفه من صفة الاستواء: يلاحظ أن ابن برجان في مواضع عدة يثبت صفة الاستواء وقد يتأول متعلقاتها، فيقول: "وأما وصفه من حيث هو وصف له، فليست العبارات له بمدركة، ولا معهودات الخلقة لوصفه العلي متناولة، ليس بمقتدر إلى حامل يحمله، ولا حيطة تجمععه، ولا حلو يوجد. الملائكة حملة العرش؛ بمعنى أنهم منفذون الأمر النازل عليهم من أعلاه، والعرش محل لاستوائه. وعلى ذلك فهو الحامل للعرش العظيم بقدرته..."⁽³⁾.

والحقيقة إن برجان يتأول العرش، بل يفسره بمعاني فلسفية حقيقتها التعطيل لصفة الاستواء اللائقة بالله تعالى كما أخبر عن نفسه وأخبر عنها رسوله، ومن ذلك لما تكلم عن خلق السموات والأرض في سورة فصلت أتى بتفسيرات فلسفية لحركة الأفلاك ثم قال: "وإلى هذا فاعلم أن العرش العظيم فوق كل شيء سواه، وفي كل سماء عرش والله تعالى فوق العرش مستو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

(1) المصدر السابق، (57/3).

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (493/5).

(3) المصدر السابق، (253/2).

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿الشورى: 11﴾ فهو مع كل شيء بما هو ، ثم هو مع الواحد بما هو ومع الاثنين بما هما ، ومع الجميع بما هم من حيث هم بمعنى القيام والقيومية ، والإيجاد كله هو معهم أينما كانوا بما هو من حيث هو غير مفارق العرش ولا مبادئ للمعية بقرب لا أقرب منه حضورا ومشاهدة ومعية بما هو. وهو بعيد عنهم بعيد لا أبعد منه نزاهة وعلاء وقدسا ، لا يجوز عليه الحلول...⁽¹⁾.

صفة الكلام: فسر ابن برجان قوله تعالى: ﴿وما يأتهم من ذكرٍ من الرّحمن محدث﴾ [الشعراء: 5]: فالحدث هنا: حدوث تنزيهه ، وإنزاله من عند الله ، وأما من حيث هو كلام لرب العالمين فهو قديم لم يزل ، فإذا لبت القلوب لم تخلص إليها أرواح المعاني ، ومنها الكلام المعبر عن كلام رب العالمين الذي هو الحق والوحي ، لعة المعنى وعظمته ، وتعالیه عن التنزيل إلى قلوب الغافلين⁽²⁾.

فابن برجان يعتقد بأن كلام الله قديم والقرآن وما يوحى إلى الأنبياء معبر عنه.

نقد أقواله في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

كثيرا ما يستند ابن برجان في تفسيره لآيات الصفات على منهج المتكلمين القائم على تأويل الصفات.

ومصطلح التأويل يستعمل في ثلاثة معان:

الأول: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجع إلى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترب به ، وهو الذي يعنيه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات. والخلاف في حكمه هل هو محمود أو مذموم؟

الثاني: أنه بمعنى التفسير ، وهذا ما عليه غالب المفسرين للقرآن وغيرهم ، فإذا ذكر أحدهم أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد به معرفة تفسيره.

الثالث: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به مما يكون فيه من أهوال القيامة والحساب ، والجنة والنار ، وغير ذلك. وتأويل الأمر والنهي هو تأويل الأمر به والنهي عنه. وتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة ، المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات ، هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله به من

(1) المصدر السابق، (43/5)، (383/5).

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (6/4).

الوعد والوعيد، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد. وأما نفس الحقيقة المخبر عنها التي لم تكن بعد، وإنما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله⁽¹⁾.

والذي استخدمه ابن برجان في تفسير بعض نصوص الصفات هو النوع الأول.

رابعاً: موقفه من العقل:

للعقل دور بارز لدى ابن برجان في تفسيره، وله كلام يبين أن صواب العقل يكون بإرشاد الشرع لما أمر الله ورسوله، فقال: "القسط هو ما يعطيه الميزان والمكيال، وحكم الحق يعبر عنه بالعدل، وهو ما يأمر به كتاب الله وسنة رسوله، يؤثره العقل الصائب بإرشاد الشرع إليه، وهو الموجود أيضاً في حكمة الله تعالى وصنعه..."⁽²⁾.

ويقول في مسائل المبدأ والمعاد وأحوال البرزخ: "فهذه بواطن غايات غابت عنا، إلا وجوداً يجده العقل إيماناً، وهن ظواهر لأهل الآخرة، وأهل الأفق المبين..."⁽³⁾.

وفي رده على المخالف نلاحظ تقديمه للدليل العقلي، فقال في معرض رده على من يقول بوحدة الوجود: «فإذاً المعلوم ببداية العقول أن جميع ما أوجده هو سواء وما هو سواء، فهو عبد له، هو القائم به القيوم عليه بما هو بقاؤه ودوام وجوده، وأنه عَلَّامٌ وتعالى شأنه الآن كما لم يزل بما لم يزل، ولا يزال كذلك أمداً وأبداً إلى ما لا نهاية، كما لم يزل من غير بداية. وهو فيما خلقه بوجود علي لا يشبهه وجود ولا يماثله شيء، لا يتصوره وهم ولا يكيفه عقل وهو فيها بأسمائه وصفاته لا يغيب عنه شيء، وهو الشهيد القريب، لا يعجزه شيء ولا يبعد عليه»⁽⁴⁾.

ومن المقرر في أصول منهج أهل الكلام تقديم العقل على الدليل النقلي عند تعارضهما عملاً بالقانون الكلي العام الذي فصله الرازي "ت606هـ"، وأكد على أنه إذا قامت الدلائل القطعية العقلية على ثبوت شيء، ثم وجد أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فلا يخلو الحال من أحد أمور أربعة.

- إما أن تصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقضين، وهو محال.

- وإما أن تبطلهما فيلزم تكذيب النقضين، وهو محال.

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (56/3)، والرسالة التدمرية، لابن تيمية ص33-36، والصاحب في فقه العربية، ابن فارس ص145.

(2) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (132/2).

(3) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات، ابن برجان (369/3).

(4) المصدر السابق، (129/1).

- وإما أن تكذب الظواهر النقلية، وتصدق الظواهر العقلية.

- وإما أن تصدق الظواهر النقلية، وتكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق رسول الله. ولو صار العقل متهما غير مقبول القول، لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدر في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدر في العقل والنقل معا وأنه باطل.

- ولما بطلت الأقسام الثلاثة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية: إما أن يقال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إن جوزنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبعض بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات⁽¹⁾.

فهذا القانون الذي يعتمد عليه أهل الكلام والجهمية، واشتهر عندهم، فأصبح من الأصول المسلمة، وتأثر به ابن برجان، واستخدمه في تفسيره لبعض نصوص الصفات كما مر معنا.

(1) أساس التقييد، فخر الدين الرازي ص220. بتصرف.

الخاتمة: تشتمل على أبرز نتائج البحث والتوصيات:

النتائج:

- 1 - بدأ ظهور التصوف في القرن الثاني، إلا أن اشتهاً التكلم به كمنهج ظهر في القرن الثالث.
- 2 - لا غرابة في امتزاج ودخول التصوف على أهل الكلام والعكس في المشرق الإسلامي؛ ذلك أن كتب "الكلام والتصوف" خرجت من الشرق. أما بدايات دخول التصوف إلى بلاد المغرب فكان على يد محمد بن عبد الله بن مسرة في القرن الرابع الهجري.
- 3 - يعد الحارث المحاسبي أول من أدخل المناهج الكلامية في اعتقادات الصوفية، وكان له أتباع، وتعتبر كتبهم من أهم المصادر التي يستند عليها المتصوفة، وانتقل الاهتمام والتأثر بها إلى بلاد المغرب، واعتمد عليها ابن برجان وغيره من متكلمي الصوفية عليها.
- 4 - قاوم فقهاء وعلماء المغرب التصوف المنحرف، ومن أبرز ما حصل في أيام دولة المرابطين: ما أجمع عليه الفقهاء من إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.
- 5 - هناك عدة عوامل أدت إلى دخول تلك المذاهب للمغرب، ومن أبرزها: الجهل المنتشر، وقوة الحاكم، والرحلات التجارية والعلمية والحج.
- 6 - يظهر أثر التصوف على آراء ابن برجان في عدة جوانب، أهمها: اعتماده في مصادره للوصول إلى المعرفة على الإلهام والذوق والكشف، واستخدامه للتفسير الإشاري الصوفي، وهو مما يتسم به المنهج الصوفي، كما أنه استخدم المصطلحات الصوفية.
- 7 - بالنظر إلى تفسير ابن برجان يلاحظ أنه يثبت معاني الأسماء الحسنى، ويقسم الصفات إلى صفة ذات وصفة معنى، وهو ما قرره أهل الكلام مما يؤكد تأثيره بتلك العقائد.
- 8 - استخدم ابن برجان الطرق الكلامية كتأويل بعض الصفات الفعلية، أو ما يسمى بالاختيارية، وتقويض بعضها، وأثبتته الصفات العقلية، وله تأويلات مبهمة لا يتبين ولا يفهم مراده، وكثير منها يقصد بها معان لم تثبت شرعاً، ولم تُنقل عن أحد من السلف.

- 9 - ظهر تأثر ابن برجان بمنهج أهل الكلام في قوله بأزلية الصفات كلها دون أن يفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، فيجعل صفات الرضى والسخط والمحبة والكرم والجود أزلية، كالسمع والبصر والحياة، حتى لا يفهم منها ما يدل على الصفات الاختيارية له تعالى.
- 10 - يتأول ابن برجان الاستواء والعرش بل يفسره بمعاني فلسفية حقيقتها التعطيل لصفة الاستواء اللائقة بالله تعالى كما أخبر عن نفسه وأخبر عنها رسوله.

التوصيات:

- 1 - يعمل طلاب العلم علي إعداد البحوث والدراسات حول الفكر المنحرف عن منهج أهل السنة والجماعة.
- 2 - التنبيه على ما يعتري التصوف وعلم الكلام من ضلالات وشركيات وكفريات.
- 3 - إجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول الفكر المنحرف عن منهج أهل السنة والجماعة للتوعية مما يوجد في هذا الفكر من ضلالات وشركيات وكفريات.
- 4 - الرجوع إلى تفاسير القرآن الكريم التي أعدها ويعددها أهل السنة والجماعة، وليس إلى التفاسير التي يشيع فيها الضلالات والشركيات والكفريات.

المصادر والمراجع:

- 1 - الاتجاهات العقدية لدى مفسري الصوفية، رسالة دكتوراه من جامعة الملك سعود، هدى الكثيري.
- 2 - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ.
- 3 - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. دار المعرفة - بيروت.
- 4 - أساس التقديس، فخر الدين الرازي، ت: أحمد السقا. مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
- 5 - الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي. ت: جعفر الناصري وآخرون. الناشر: دار الكتاب- الدار البيضاء، ط: الأولى 1997م.
- 6 - اصطلاحات الصوفية لابن عربي، طبعة ملحقة في نهاية كتاب التعريفات. (بدون بيانات).
- 7 - أصول الدين، عبد القاهر البغدادي. مطبعة الدولة- إستانبول، الطبعة الأولى 1346هـ.
- 8 - بيان تلبيس الجهمية، أحمد بن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط الأولى 1426هـ.
- 9 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط الأولى، 1407هـ.
- 10 - تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي الجزائري. المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1406هـ - 1986م.
- 11 - تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، عنى به: عزت العطار الحسيني. مكتبة الخانجي- القاهرة، ط2، 1408 - 1988م.
- 12 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي. ت: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط1. 1965م.
- 13 - تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، محمد حسين الذهبي. الناشر: الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط: الثانية.
- 14 - التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي. ت: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة - لبنان، 1415هـ - 1995م.

- 15 - تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط الأولى، 1421هـ.
- 16 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387هـ.
- 17 - تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، عبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان، ت: أحمد فريد المزيدي، ط الأولى 1434هـ.
- 18 - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي. الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، 1966م.
- 19 - جمع الجيوش والديساكر على ابن عساكر، يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي، ابن ابن الميرد الحنبلي. مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط: الأولى، 2004م.
- 20 - درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية- بيروت 1417هـ.
- 21 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري. ت: الدكتور محمد الأحمد أبو النور. دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- 23 - رسالة إلى أهل الثغر، علي بن إسماعيل الأشعري، ت: عبد الله الجنيد. مكتبة العلوم والحكم- دمشق، ط الأولى، 1988م.
- 24 - الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية، ت: محمد السعوي. مكتبة العبيكان- الرياض، ط السادسة 1421هـ.
- 25 - السالمة، منهجها وآراؤها في العقيدة والتصوف، عبد الله بن دجين السهلي. دار التوحيد للنشر- الرياض، ط الأولى 1443هـ.
- 26 - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد شاكر وآخرون. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي- مصر، ط الثانية 1395هـ.

- 27 - سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ.
- 28 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية- لبنان، ط الأولى، 1424هـ.
- 29 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد، ت: محمود الأونؤوط. دار ابن كثير- دمشق، ط الأولى 1406هـ.
- 30 - شرح حديث النزول، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية. المكتب الإسلامي- بيروت، ط5، 1397هـ/1977م.
- 31 - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي- بيروت، ط الثانية 1414هـ.
- 32 - شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرخشي المالكي. دار الفكر للطباعة - بيروت.
- 33 - الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي. الناشر: محمد علي بيضون، ط: الأولى 1418هـ-1997م.
- 34 - صحيح محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير- بيروت، ط الثالثة 1407هـ.
- 35 - صحيح مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد. دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- 36 - الصفدية، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم. الناشر: مكتبة ابن تيمية- مصر، ط الثانية 1406هـ.
- 37 - طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: علي محمد عمر. مكتبة وهبة- القاهرة، ط: الأولى، 1396هـ.
- 38 - العبر في خبر من غير، محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، ت: محمد بسيوني. دار الكتب العلمية- بيروت.
- 39 - العلو للعلي الغفار، في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها، محمد بن أحمد الذهبي. ت: أشرف بن عبد المقصود. الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط: الأولى، 1416هـ.

- 40 - العواصم من القواصم، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي. ت: الدكتور عمار طالبي. مكتبة دار التراث- مصر.
- 41 - الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي. دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط الثانية، 1977م.
- 42 - فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحاسبي، ت: حسين القوتلي. دار الفكر- بيروت، ط الثانية، 1398هـ.
- 43 - فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين، ت: إحسان عباس. دار صادر- بيروت، ط: الأولى، 1973م.
- 44 - كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جليبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة. مكتبة المثنى- بغداد، 1941م.
- 45 - لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: دائرة المعارف النظامية - الهند. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط الثانية، 1390هـ.
- 46 - مجموع الفتاوى أحمد بن تيمية، ت: أنور الباز وآخرون. دار الوفاء، ط الثالثة 1426هـ.
- 47 - مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشيد رضا. لجنة التراث العربي.
- 48 - المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عطا. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ.
- 49 - معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، ت: عبد العال شاهين. دار المنار- القاهرة، ط الأولى، 1413هـ.
- 51 - المعجم الصوفي، محمود عبد الرزاق. رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم- جامعة القاهرة.
- 52 - المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ابن الأبار). تحقيق الناشر: دار صادر- بيروت، 1885م.
- 53 - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت: نعيم زرزور. المكتبة العصرية، ط الأولى، 1426هـ.

- 54 - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة- بيروت 1404هـ.
- 55 - المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: عبد الفتاح أبو غدة. مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب، ط الأولى، 1390هـ.
- 56 - مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحلیم محمود. دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، 1421هـ.
- 57 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقى الدين المقرئزي. دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى، 1418هـ.
- 58 - الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان، ط الأولى 1417هـ.
- 59 - مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني. دار الفكر، ط3، 1412هـ - 1992م.
- 60 - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني. ت: إحسان عباس. الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان، ط1، 1997م.
- 61 - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي بعناية: وكالة المعارف إستانبول 1951م. دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- 62 - الوايف بالوفيات، صلاح الدين عليل الصفدي، ت: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث- بيروت. 1420هـ.
- 63 - وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ت: إحسان عباس. دار صادر- بيروت.